

الإربعاء 14-10-2009

775- أن يجب أهدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى المعاصر



دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة  
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الشغل فى المستحيل

تمهيد

تأملت - من جديد - المأزق الذى وجدت نفسى فيه مؤخرا (كما هو حال أغلب الناس ممن ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصرى") فوجدت أنه يتأرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحى الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعى بنفسه، وبضرورة الآخر شرطا لتواجده بشرا سوياً، أو ما يسمى عادة **الخب**، وبين ما أسماه **جدل الموت والحياة**، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعى/الأمانة التى تورط فيه هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان

اكتشفت أن تناولى لإشكالية العلاقات البشرية من خلال هذا المتن تحتاج إلى توضيح مبدئى قبل المضى قدما فى ذلك. رحت أكتب مقدمة لهذه الحالة الخامسة فإذا بها تصلح مقدمة للعمل كله:

مقدمة (1)

نلتقى حين نسعى

هذه هى الحالة الخامسة، ويبدو أنها ليست إلا شرحاً على متن الحالة السابقة (الحالة الرابعة: الأسبوع الماضى)،

لاحظت حتى الآن - للأسف- أن تعريه العلاقات المسماة "الخب" حتى النخاع هكذا، تنتهى إلى ما يشير إلى يأس ماء، أو قتل، إلى إجماع باستحالة أن يتحاب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعى، والوعى بالوعى" وأضيف الآن: "بما يشمل" مسئولية المشاركة فى جدل نمو الإنسان فردا ونوعا".

فكرت أن أتوقف عن التماهى في توصيل رسائل مثل هذه قد تحمل في ظاهرها جرعة من اليأس أو العجز لم أقصدها أبداً، قلت أنه القارئ ببعض التوصيات التي قد تعينني على توضيح ما قصدت إليه من هذه المحاولة هكذا:

**أولاً:** أن يتذكر القارئ أنها محاولة لفك شفرة النص البشرى بتعبير الابن والصديق د.جمال التركي، أو لعلها "نقد النص البشرى" كما اقترحت سابقاً، فهو ليس حكماً دامغاً

**ثانياً:** أن هذا العمل مرتبط بنص محدد هو متن شعري كتب منذ 36 سنة، وينشر كما هو إلا ما ندر من تصحيح شكلي لجملة أو تحديث محدود في شطر، ذلك أنني راغبت أن أي تغيير في المتن أكثر من ذلك هو تجاوز للأمانة.

**ثالثاً:** أن أعمال الكاتب تكمل بعضها بعضاً، فإذا وصلت رسالة مثل الرسالة الحالية بها هذا القدر من التعرية لدرجة التلويح **بالياس أو الاستحالة**، فهي ليست فصل الخطاب، ومثل حروف وأرقام الشفرة (الكلمة المفتاح في بريدك الالكتروني "ميلك" مثلاً) لا يمكن أن تفتح الشفرة إلا باكتمال إدخال الكلمة المفتاح حرفاً رقمياً.

**رابعاً:** أن يتحمل معنى القارئ قدراً من التكرار، لا أريد أن ألزم نفسي بتجنبه في المرحلة الحالية، وأمل حين يصدر هذا العمل - إذا صدر- في طبعة ورقية أن تحف جرعة التكرار قليلاً أو كثيراً.

**تُرى:** هل يستطيع القارئ الصديق أن "يعلق الحكم" (بلغة الفينومينولوجيا)، فيضع رأيه بين قوسين حتى ينتهي من قراءة **جمل كل نشرة**، والأصعب والأهم: **حتى ينتهي من قراءة العمل كله**، والأصعب جداً حتى **يلم بما يكمله من أعمال الكاتب الأخرى؟**

إن ما أحاول توصيله لا ينتهي بحكم يحتاج إلى تعليق (تعليق الحكم) بقدر ما هو دعوة لتحريك الوعي في اتجاه أرى أنه يصلح أن يجمعنا معاً كلما مضينا قدماً أكثر فأكثر،

وعندى يقين بأننا نلتقى حين نسعى إلى أن نلتقى، لا حين نلتقى فعلاً (أنظر بعد):

**مقدمة (2) هذه القصيدة:**

**فرض قبل الفروض:**

**هنا نوجز الإشكالية في هذا الفرض (1):**

إن أي علاقة بين إنسان وإنسان هي علاقة بين عدة أناس، وعدة أناس آخر، بداخلنا معاً:

فهى علاقة متشابكة متداخلة، بها من التنافس (والمناورات والخاوف بين الذوات داخلنا) بقدر ما بها من التكامل والجدل،

هذا تفسير العنوان الأول الذى تغير إلى العنوان الحالى،  
العنوان الأول كان كالاتى:

**"مناورات ومخاوف الذوات داخلنا (في ملعب الحب والحياة)"**

أما أنها مناورات ومخاوف فهي كذلك نغيبا أن تكون - فقط-  
صراعا أو سباقا تنافسيا حاضرا، مع أنها صراع محتمل وتنافس  
مشروع ، علما بأن المناورات والمخاوف هي خطوات نحو هذا  
الجدل الواعد.

أما أنها تجرى في ملعب الحب والحياة، فذلك لأن كلمة "الخب"  
هي التي شاعت أكثر من غيرها في توصيف العلاقات البشرية،

**فروض مستلهمة من الخطوط العامة للقصيدة :**

نشرت في الاسبوع الماضى المستويات العشرة للعلاقات  
البشرية دون أى تطبيق أو تفصيل، وطلبت التأمل فيها حين  
نشر المتن والشرح اليوم،

وهأنذا أعيدها - بعد تعديل طفيف - مع التذكرة بأن  
القصيدة إنما تقوم بتعريف المستويات الثلاثة الأولى، وإلى  
درجة أقل المستوى الرابع، وهي:

**المستوى الأول:** الجذب النداء والامجذاب الذاهل.

**المستوى الثانى:** اللذة المشتركة بعض الوقت.

**المستوى الثالث:** اللعب الحر معا - أحيانا.

**المستوى الرابع:** تبادل الاعتمادية

هذه المستويات الثلاثة + واحد، هي التي تعرضها هذه  
القصيدة بوجه خاص، وللأسف فإنها تقوم بتعريف هذه المستويات  
بقسوة بالغة (كما جاء في شرح المتن في نشرها السابق منذ  
عامين بتاريخ 8 أكتوبر 2007 "من" يجب "من"؟...؟)

وهذا ما نبهنى إلى احتمال الرسالة السلبية التي قد تصل  
من هذا المتن، حتى لو قمنا بشرحه هكذا دون حذر كاف.

الخوف كل الخوف هو من أن نتوقف عند هذه التعرية وكأننا  
نرفض هذه المستويات ابتداء ودائما، وهذا ضد الطبيعة  
البشرية الخالصة،

وقد ساءلت نفسى عن مدى واقعية المستويات التالية،  
خاصة أنى وجدت أن المتن الشعري في كل الديوان قد تناولها  
بأقل القليل، فوجدت أنها مستويات تبدو نظرية أو مستحيلة.

الشعر شعر، ونحن لا نستطيع أن نقيم وصاية عليه حين  
يتوقف عند مرحلة التعرية ليدفعنا نحن لمحاولة تحقيق  
المستويات التالية مهما بدت مستحيلة ، وعلى الإنسان  
العصرى أن يعيش شرف محنة قصوره عن معاشتها بما تستحق، بما  
يلزمه بمواصلة السعى

إن الصعوبة حتى الاستحالة البادية ابتداء ليست مبررا لإنكار الحقائق، ولا للتوقف عن السعى لتحقيق الآمال الواقعية، ومن هنا جاء العنوان "الشغل في المستحيل"

وفيما يلي ما تراءى لي من مستويات لاحقة، (نشرت أيضا الأسبوع السابق) وذلك مع إضافة قدر محدود جدا من التوضيح هكذا :

**المستوى الخامس:** انتشار الفرحة تواسلا إلى محيط من البشر أوسع فأوسع .

(وهذا يحتاج إلى تعرّف على مانعيه بالفرح والفرحة حالة كونهما وسادة المشاركة معا)

**المستوى السادس:** جدل النمو .

( فننتبه إلى أن الجدل الذي يستحيل التحدث عنه دون اختزاله أو تشويبه ، هو حقيقة ما نمارسه فعلا دون تسمية، "لنكون فنصير"، رضينا أم لم نرض)

**المستوى السابع:** إعادة الولادة .

(وهذا ما يجعل تقييمنا للتواصل البشرى بما يتبقى منه، وليس فقط بما يتحقق به مؤقتا)

**المستوى الثامن:** الامتداد إليهم حمداً .

(فنجد أنفسنا في دائرة الوعي الجمعي، وهو شرط لا بد من توفره يكون القاسم المشترك الأعظم الذي يبرر تحققنا أفرادا بشريين)

**المستوى التاسع:** الألم الخلاق كدحا إليه .

(ثم تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعي المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المفتحة إلى الوعي الكوني المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى).

**المستوى العاشر:** إعادة دورة جدل الإيقاع الخيوى في نبضة جديدة على مستوى أعلى، وهكذا .

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطأ مستقيما أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكنا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الخيوى المفتوح النهاية)

رجعة إلى العنوان الخالى أقول:

**الشغل في المستحيل**

بعد الرجوع إلى مادة "شغل" في المعجم الوسيط اطمانت إلى استعمالها لوصف ما خطر ببالي وأنا أتناول القضية تلو الأخرى بوصف الاستحالة، ثم أصر على أن نقتحم الاستحالة لنقلها إمكانية، هو ما أضفه أحيانا بـ "إمكانية المستحيل" وهو شرف الكفاح لنكون بشرا،

هذه هي قضيتنا الممتدة بـ الشغل في المستحيل لنجعله  
ممكنا-

نحن نتعامل مع:

عدل مستحيل (تخنقه، وفي نفس الوقت تحقق ما تيسر منه:  
 قوانين مكتوبة خانقة مختلفة، مع أنها خطوة اضطرارية على  
الطريق إليه)

حرية مستحيلة ( تزيفها وتطمسها ديمقراطية عاجزة أو  
 زائفة مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليها)

حب مستحيل ( يزيجه ويحل محله المستويات "الثلاثة الأولى +  
 واحد"، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

الحركة، الشغل، الكدح

أما لماذا استعملت كلمة الشغل، فهذا ما قد يحتاج مني إلى  
 شرح أخير يقول:

لم تعد القيمة المحرودة تهمني، بقدر ما أريد التأكيد على  
العملية الجارية فيها وبها وحولها

• لا يوجد شيء اسمه "حرية"، وإنما يوجد سعى دائم لزيادة  
جرعة ما تيسر من الحرية

• لا يوجد شيء اسمه "الإنسان"، وإنما يوجد تطور مفتوح  
النهاية نحو ما يمكن أن يكون إنسانا

• لا يوجد شيء اسمه "العدل" ، وإنما توجد معادلة متحركة  
لتحقيق أكبر قدر من التوازن بين وحدات الوجود المتكافئة  
لتعود على الجميع بما يحافظ عليها وينميها معا

• بل إن الحق تبارك وتعالى لا يؤمن به إلى حالة كوننا  
نتعرف عليه بتحريك " الكدح" إليه

وعلى هذا القياس

• لا يوجد شيء اسمه الحب، وإنما يوجد شغل طول الوقت  
لتحقيق تصعيد جدلي خلاق بين أفراد البشر وجماعاتهم لتتلاقح  
مستويات التواصل فيما بينهم ما أمكن ذلك، إلى إمكانية  
المستحيل.

يا ترى سهلتها أكثر؟ أم صعبتها لدرجة الاستحالة؟

وهل أماننا سبيل آخر إلا أن نجعل المستحيل ممكنا؟

وبعد

أسف أن أكتفى بهذه المقدمة الضرورية،

وأعتذر بأن أعيد نشر المتن دون شرح (يمكن لمن يريد بعض  
 الشرح أن يعود إلى نشرة 8 أكتوبر 2007 "من" يجب  
 "من"...؟")

مع دعوة لروح أن يشاركنا القارئ الصديق الصعوبة قبل أن نقدم على التعرّية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشرى البدنى

ولعل في نشر المتن هكذا حرا طليقا، ما يعتذر لهذه المقدمة الشائكة التي استغرقت نشرة بأكملها بهدف تخفيف قسوة التعرية ، فإذا بها أشد قسوة (أم ماذا؟)

هل يستطيع هذا المتن خالصا أن ينسينا كل ما سبق في هذه المقدمة

يا ليت

\*\*\*\*\*

المتن

وعيون مكحولة مندئية.

تسجّر وتشد.

منديلها على وش المية

مستنى تمد:

إيدك، تسجّبها تروح فيها،

ولا مين شاف حد.

(1)

ماتكونشى يا واد النداهة؟

حركات الجنية اياها؟

أنا خايف مالى مانيش عازفة.

أنا شايف إلى مانيش شايفه.

وتلاحظ خوفى ثطمى.

وتقولى كلام، قال إيه يعنى :

ماتبصّ جوه بزيادة،

خلىك عالقد.

شوف حركة عودى الميادة،

شوف لون الخد

(2)

وأحس بهمس اللى معاها،

أنوى أقرب.

وأشوف الثانية جُؤَاهَا،  
أحلى وأطيب.  
واخوف يغالبني من آيَاهَا،  
لأ. مش خَاهِرْب.  
والطفلة تشاور وتعافر،  
بتقرب، ولا بتتأخِرْ؟  
وانْ مَدَيْتْ إيدى ناحيتها، بتخاف وتكش.  
والثانية تنط تخلّصها: تهزّب في العيش.  
دى غيامة كِذب وتغطيّة، ومؤامرة غش.  
(3)

وما صدّقشى،  
ولا اسلمشى،  
أنا واثق إنها ما متئشى  
أنا سامع همس الماسكئشى  
مش حاجى، لو هيّه ما جئشى.  
(4)

- جرى إيه يا أحيننا؟ على فين؟  
خاتصّعى الناييم؟ بضمّان إيه؟  
جرى إيه؟  
مش عاجبك رسمى لحواجى، ولا لُون الرُوج؟  
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوج؟  
ما كفاكشى زواق الباب؟  
هيّه وكالة من غير بواب؟  
أنا مش ناقصة التقلية ديّة،  
ولا فيش جوايا "المش هيّة"،  
ولا فيه بنوتة بمرايلها،  
ولا فيه عيل ماسك ديلها،  
(5)

إوعى تخطى، أبعد منى، حاتلاقى الهيو.

البيت دا ما لوهشي اضحاب.  
دول سافروا قبل ما ييجوا.  
من يوم ما بنينا السد:  
السد الجواني التاني.  
وان كان مش عاجبك، سدّي البراني.  
تبقى فقت اللعبة،  
ومانيش لعبة.

(6)

دور على واحدة تكون هبله،  
بثسورق من خضوة نبله.  
تديك قلب الحساية!!  
ومالكشي دعوة بجوانا

.....

يا ما كان نفسي،  
بس ياروخ قلبي "ما يّخكمشي".